الخليج

الرأي, مقالات

23 فبراير 2022 00:31 صباحا

أوكرانيا والبطن الرخوة

الكاتب

عبدالحسين شعبان

عبد الحسين شعبان

أوكرانيا القوية والمستقرة ستكون ثقلاً موازياً حاسماً لروسيا» هذا ما كتبه بريجينسكي عام 1994، في الوقت الذي» كانت روسيا تترنّح تحت حكم الفساد والمافيات ومراكز القوى وتعيش مرارة الهزيمة وتوابعها، والتي قادت إلى تفكك .الاتحاد السوفييتي وانقسامه إلى 16 كياناً

وحين سئل بريجينسكي كيف تكون أوكرانيا موازياً لروسيا، أجاب بالقول: إذا سيطرت روسيا على أوكرانيا فيمكن لها .أن تعيد بناء إمبراطوريتها من جديد، وبالطبع ليس على أساس أيديولوجي، وإنما على أساس قومي

لعل ذلك يشكل خلفية لفهم الأزمة الروسية – الأوكرانية الراهنة، فحتى بعد انتهاء الحرب الباردة كانت عين روسيا على أوكرانيا مدخلاً لها على أوروبا وهي ثاني دولة كبيرة ومهمة بعد روسيا في أوروبا، مثلما وضعت الاستراتيجية الأمريكية نظرية «البطن الرخوة» أو «الخاصرة الضعيفة» إزاء عدوها التقليدي الأول، وكانت منذ نظريات كيسنجر وبريجينسكي بشأن الصراع الأيديولوجي تفكر في إشعال صراعات في الدول المتاخمة لروسيا، قد لا تكون بالحدة التي تقود إلى حرب طاحنة، لكنها ليست بالخفوت الذي يُطفئ شعلتها لوقت طويل، بمعنى استمرار الصراع الممتد «المنخفض القوة»، وهو أمر جرّبته واشنطن في أفغانستان لاستدراج السوفييت، مثلما كان حاضراً في العراق وسوريا .وليبيا وغيرها؛ حيث النزاعات الداخلية، والمهم أن تبقى ألسنة النيران مشتعلة، لكنها لا تدمّر تماماً ولا تخبو تماماً

وقد أدرك الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ذلك، الأمر الذي اندفع بشكل سريع وحاسم إلى استعادة شبه جزيرة القرم في عام 2014 لأنه ظل حذراً من استخدام الولايات المتحدة بشكل خاص والغرب عموماً أوكرانيا لتهديد روسيا والحد من طموحاتها الجديدة، لاسيما بتحالفها مع الصين وسعيها لاستعادة بعض علاقاتها في الشرق الأوسط، بدخولها

الميدان السوري بقوة منذ عام 2015 وتحولها إلى رقم صعب في معادلة التسوية للصراع، ناهيك عن دورها في الجمهوريات السوفييتية السابقة.

الجديد في الصراع المعلن والمستتر الأمريكي – الروسي أنه عابر للأيديولوجيات وهو شكل من أشكال الحرب الباردة بطبعتها الجديدة، ويمكننا أن نقرأ حيثياته: أن أوكرانيا تريد أن تصبح عضواً في حلف الناتو وروسيا تعتبر ذلك تهديداً لها، ولن تقبل بنصب صواريخ على حدودها كما حصل مع بولونيا وتشيكيا ودول البلطيق (إستونيا وليتوانيا ولاتفيا)، وتطالب بضمانات أوكرانية وغربية مقابل تأكيدها بعدم نيتها غزو أوكرانيا.

تقول واشنطن حتى وإن لم تكن أوكرانيا عضواً في حلف الناتو، لكنها معنية بحمايتها وستفرض عقوبات قاسية على روسيا في حالة إقدامها على مغامرة غزوها، لكن مجرّد استمرار الأزمة يهدد بخطر حرب لا حدود لها، وهو ما يذكّر بأزمة البحر الكاريبي عام 1962 عند نصب صواريخ سوفييتية في كوبا على بُعد 90 ميلاً عن ميامي في الولايات المتحدة، ولولا حكمة وعقلانية الرئيس الأمريكي كينيدي والزعيم السوفييتي خروتشوف لكان العالم على شفا حفرة، وهكذا انتهت الأزمة بسحب الصواريخ السوفييتية مقابل التعهّد بعدم غزو كوبا، وسحب الصواريخ النووية الأمريكية من تركيا.

صحيح أن الاتحاد السوفييتي انهار ونزعت موسكو القناع الأيديولوجي عنها، لكن طموحاتها القومية ظلت عالية السقف، خصوصاً وهي تمتلك ترسانة نووية هائلة ولديها إمكانات وموارد ضخمة، فضلاً عن طاقات وكفاءات؛ بحيث تستطيع أن تكون لاعباً مهماً في الساحة الدولية لا يمكن تجاوزه، فما بالك حين تتحالف مع بكين ثاني أكبر قوة اقتصادية في العالم، دون نسيان دورها النفطي والغازي والغذائي.

لا تريد الكرامة الروسية أن تعترف بالهزيمة حتى وإن تفكّكت المنظومة الاشتراكية السابقة، ومن الخطأ أيضاً محاولة فرض شروط المنتصر عليها، وهذا ما حذّر منه بريجينسكي داعياً إلى عدم إذلال روسيا بعد انتهاء الحرب الباردة. وبقدر ما يتعلّق مصير أوكرانيا بروسيا فذلك نقمة الجغرافيا وسقم التاريخ، إلا أن الأمر له وجه آخر تشتكي منه روسيا؛ حيث يحاول الناتو وواشنطن استغلاله ليكون وسيلة تهديد، فروسيا تعتبر تطوّر العلاقات العسكرية بين أوكرانيا والغرب ونشر أسلحة على الحدود بمثابة «خط أحمر»، ولذلك حاولت استباق الأمر لمنع انضمام كييف إلى الناتو، وفي حالة انضمامها سيكون الرد قوياً وغير مسبوق.

وكانت واشنطن ومعها الدول الغربية تعهّدت بعدم ضم أي عضو سابق في حلف وارسو أو من الجمهوريات السوفييتية إلى حلف الناتو، إلا أن الأمر انقلب على أعقابه بمرور الزمن. وحتى تنجلي الصورة ويتغلّب العقل والحكمة على الاندفاع وردود الأفعال فالعالم لا يزال يحبس أنفاسه.

drhussainshaban21@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©